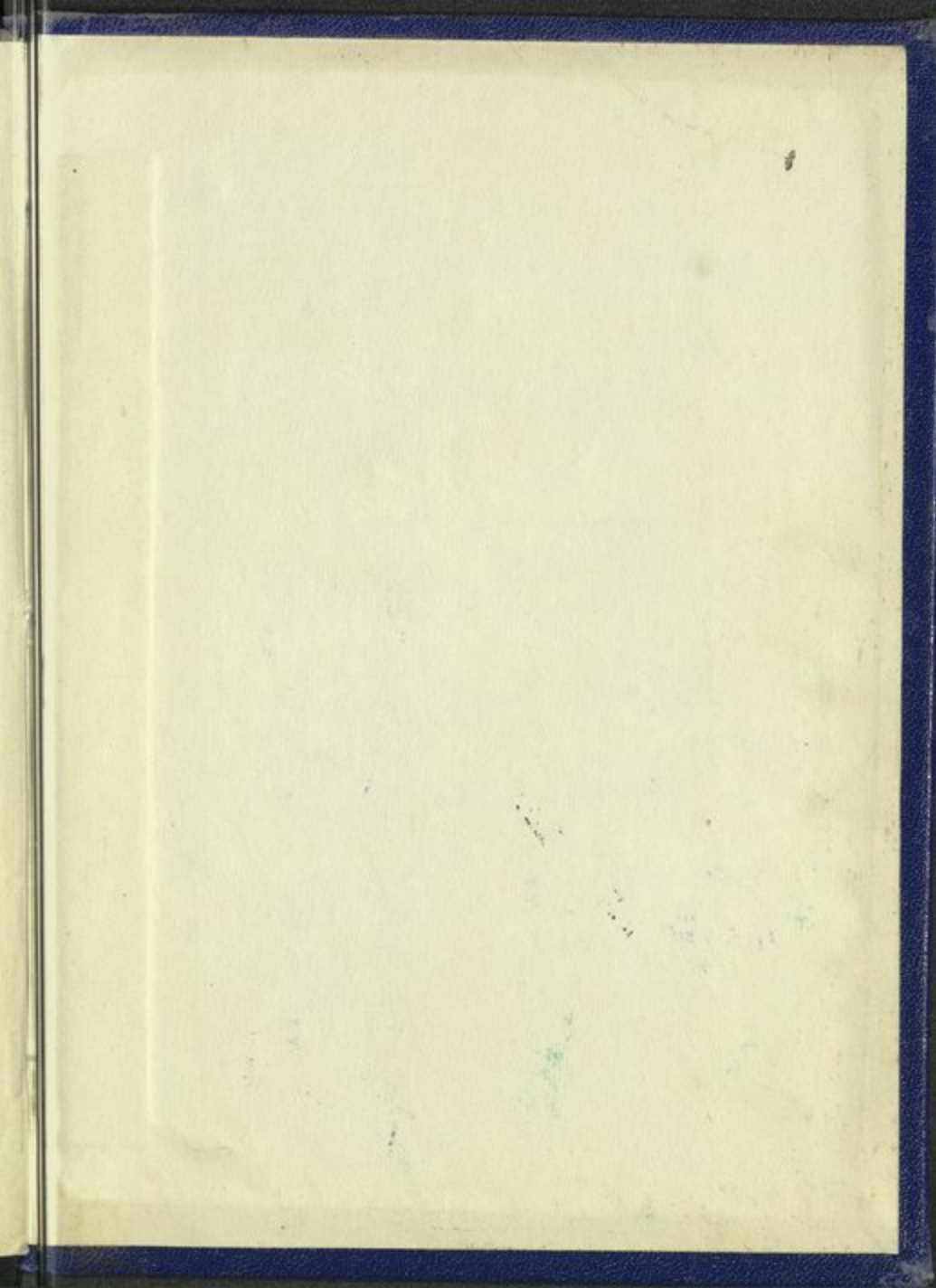


علي

رسالة الطب العربي



610.953:A39rA

610.953
A39rA

~~1 JUN 1975~~

~~SAFET LIB.~~

~~27 JUN 1983~~

~~15 APR 69~~

~~APR 15 60~~

~~SAFET LIB.~~
~~11 AUG 1991~~

~~21 FEB 1972~~

~~SAFET LIB.~~

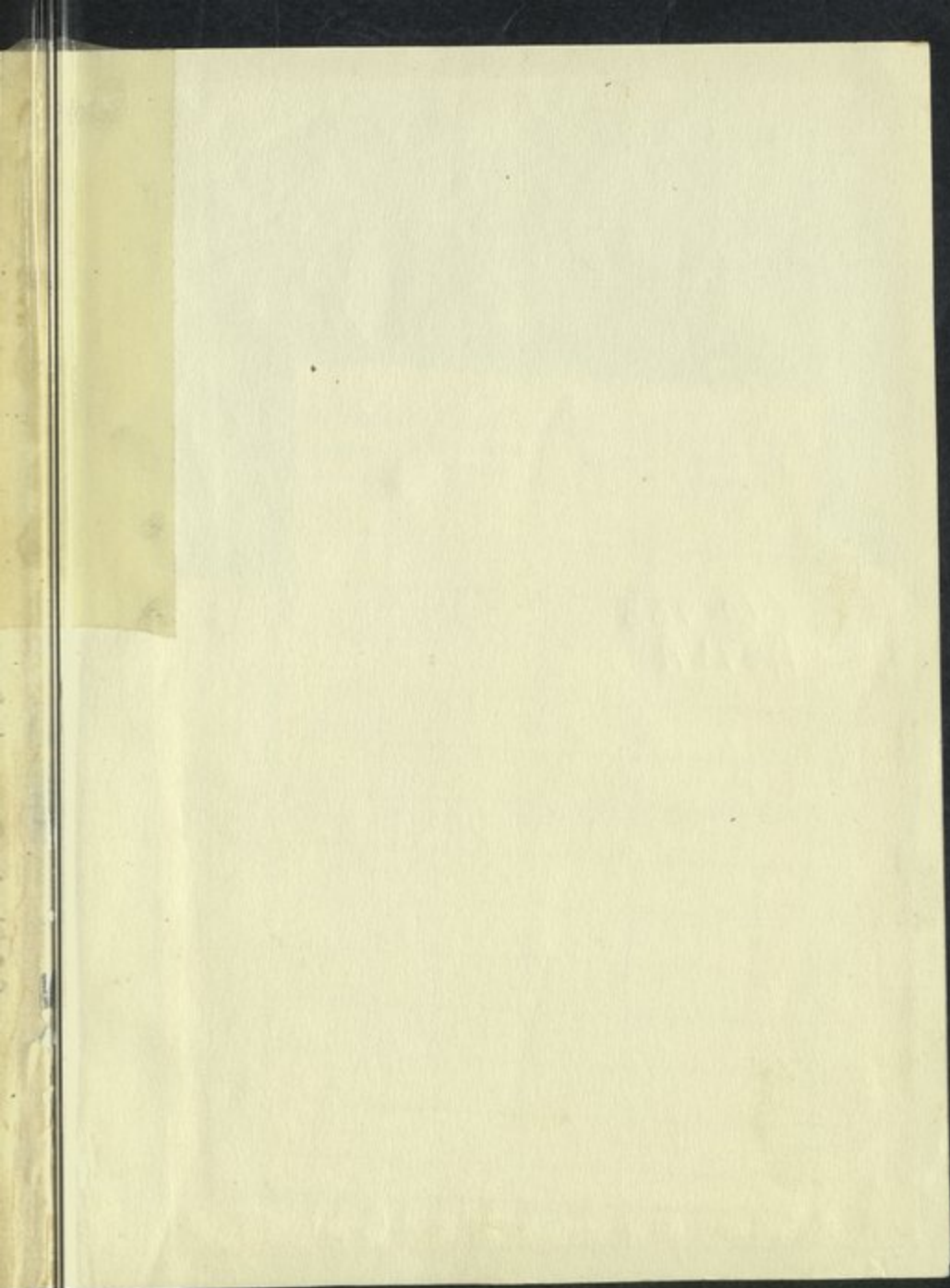
~~22 JUN 65~~

~~1 JUN 1977~~

~~1 FEB 68~~

~~19 JAN 1985~~

~~SAFET LIB.~~
~~2 JUN 1978~~



هدى الى مكتبة الجامعة الأمريكية بيروت

610.953

A395A
C.1

سنة المؤلف

رسالة

الطبيب العربي

أوتأثيره في هداية أوسا

تأليف

الذكي توريكي علي
حبيب بن مستشفه صبر العينة

[حقوق الطبع محفوظة]

49185

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٥ - ١٩٣١ م

Gift. Cat. 1933



(مطبعة دار الكتب المصرية ١٠١٦/١٩٣١/٢٠٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نهض الشرق في العصر الحاضر نهوضاً قوياً يستعيد به ما كان
لأسلافه الأجداد من المدنية والعظمة والاستقلال ، وسرت ^{أصابع}
في هذا الجيل روح الحمية وعزيمة الإيمان بحضارة السلف ، ولقد
حجب إلى نفسى البحث في آثارهم ، والاستضاءة بنور هدايتهم ،
فدوّنت هذه الرسالة إحياء لمآثر العرب العظيمة ، ومفاخرهم النبيلة ،
وهأنا أخرجها للناس ليجدوا فيها علماً مأثوراً ، ودليلاً ساطعاً ،
وحجة ناطقة بحضارة العرب ومدنيتهم العظيمة ممثلة في الطب
العربي الذي جعلوه وثيق الأركان ، رفيع البنيان ، وخلدوا معالمه
في لوح التاريخ ما

الدكتور

زكي علي

مصر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ (سبتمبر سنة ١٩٣١)

نظرة إحصائية (في خلال) العصور

لننظر بأبصارنا نخترق حجب التاريخ وستر الأحقاب قرونا
عديدة لنرى العرب في جاهليتهم أهل الفطرة والبداءة ، ولهم
في الطب معرفة يسيرة مبنية على التجربة ، وأعتادهم في نقل العلوم على
الرواة ، وبينما العرب في ظلام الجاهلية على فترة من الرسل إذا بطلوع
نور الإسلام والرسالة المحمدية فدعى القوم إلى الإسلام فقبلوه ، وإلى
القتال في نصرته فلبوا وسلبوا السيوف أغمارها وأخذوا بأطراف
الأرض زحفا زحفا والإسلام يمتد سلطانه وينتشر ضياؤه .

في ذلك الوقت كانت الطائفة النسطورية من المسيحيين
الذين اضطهدهم حكام بيزنطية قد فزوا لاجئين إلى بلاد العجم
ونزلوا بمجنديسابور في جنوب غرب فارس وكانت معهم الترجمة
السريانية لكتب مشاهير اليونان كأبقراط وجالينوس وأصبح
لمدرسة مجنديسابور التي اجتمع بها هؤلاء النسطوريون شأن هام
في تاريخ الطب العربي إذ أنها تعتبر ينبوعه الأول ، فإن العرب
لما فتحوا فارس في القرن السابع قدروا شأن هذه المدرسة وفيها
اتصلوا بعلوم اليونان حيث ترجمت إلى العربية في القرنين الثامن
والتاسع وانتقلت في صبغتها العربية فيما بعد إلى بغداد .

عربي

هم

وفي عصر الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية انتشر الإسلام
بسرعة وامتدت فتوحاته شرقا وغربا وتدفقت جيوش المسلمين
على الشاطئ الإفريقي للبحر الأبيض ففتحوا مصر وتوغلوا في شمالي
إفريقية وأسسوا مدينة القيروان (بالقرب من تونس) واستولوا
على صقلية ثم فتحوا أسبانيا في أوائل القرن الثامن ووطدوا
دعائم دولتهم بالمغرب، فكان ذلك فاتحة عصر جديد في تاريخ
العلوم والآداب، ولما تمت الفتوحات العربية وانتقلت الخلافة
إلى بغداد بقيام الدولة العباسية اتجهت عناية الخلفاء إلى إحياء
العلوم ونشرها ونزل النسطوريون بساحاتهم في بغداد فأكرم الخلفاء
مثوهم وجعلوا المؤلفين والمترجمين موضع الإجلال والتقدير دون
تمييز للأجناس، وذاعت شهرة الخلفاء كمحبين للعلوم وناشرين
للعارف، وأمروا بترجمة كافة الكتابات اليونانية والسريانية والهندية
التي أمكنهم الحصول عليها بالغزو أو الشراء أو المبادلة فأدى ذلك
إلى ارتفاع شأن اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم وصارت
بغداد مركز الآداب العربية ومصباح العلوم في قلب الأمة
الإسلامية في «العصر الذهبي» من سنة ٧٥٠ إلى سنة ٨٥٠
ميلادية، وهذه المدة كانت أزهى عصور الثقافة العربية، ففي هذا
العصر تمت ترجمة أغلب الكتب اليونانية إلى العربية وحُور
العرب الطب اليوناني ونقحوه بما يلائم مقتضيات الدين والمناخ

والجنس واللغة، كما كان الخلفاء في ذلك العصر يملكون عددا لا يحصى من المخطوطات الأصلية لعلوم الأقدمين التي ترجموها إلى لغة الإسلام وحفظوها في (بيت الحكمة) الذي أسسه الخليفة المأمون في بغداد، وما أتى القرن العاشر حتى كانت العربية لغة الدين والعلوم والآداب والسياسة والمعارف والمدنية.

أما ظهور الكتب العربية فأبتدأ في القرن الثاني الهجري (٧١٩ - ٨١٦ م) أما الكتابة المستقلة في الطب العربي فقد ظهرت في القرن التاسع ووصلت أشدها في الحادي عشر.

ومن المعلومات التي يمكن استقائها من مثل كتاب (الفهرست) الذي ألف بعد العصر الذهبي لا نكاد نكون مبالغين إذا قلنا إن ما وصل إلينا من مؤلفات العرب ليس واحدا من ألف من المؤلفات التي كانت موجودة إذ ذاك بسبب ما أتاه المغول من التخريب والتدمير لما دخلوا بغداد سنة ١٢٥٨ م وجعلوا الثقافة العربية أثرا بعد عين.

ويجدر بنا أن نذكر أن بعض الأصول الطبية اليونانية قد فقدت بينما بقيت معروفة لنا بفضل العرب الذين ترجموها إلى العربية في مخطوطات لا تزال محفوظة إلى اليوم.

وكما أوتى العرب من الحروب نصرا عظيما، فقد أوتوا في العلم فتحا مبينا، وكانت بغداد في العصر الذهبي أغنى المدائن وأعظمها

حضارة وعمرانا في العالم كله، ويخبرنا المؤرخ «جيبون» أنه كان بها في وقت ما ٨٦٠ طبيباً مرخصاً لهم بمزاولة مهنة الطب، كما كان بها مستشفيات عديدة ومدارس كثيرة مما أسسه هارون الرشيد والمأمون.

وكما كانت بغداد في المشرق، كانت قرطبة في الأندلس بالمغرب قد بلغت أوجها حتى لقد كان فيها كل فتي وفتاة في سن الثانية عشرة تمكّنه القراءة والكتابة، وذلك في وقت كان فيه بارونات المسيحية بأوروبا رجالاً ونساء لا يكادون يعرفون كتابة اسمائهم !!

بل يقال إن قرطبة في قمة مجدها في ظل الإسلام كان بها ٣٠٠ مسجد و ٢٠٠,٠٠٠ منزل ونحو مليون من السكان وخمسون مستشفى، أما مكتبتها فقد رُفدَتْ أنها آحتوت — على الأقل — على ٢٢٥ ألفاً من المجلدات وأصبحت جامعة قرطبة في القرن الثامن الينبوع الذي تتفجر منه العلوم العربية كما ازدهرت مدينة «غرناطة» في العصور الوسطى، وصارت أنعم مدن أسبانيا، وكما كانت «الحمراء» من أعظم بدائع صنعة العرب في أسبانيا و بقيت تذكاراً فريداً للفن الإسلامي والحضارة العربية في تلك العصور.

ولقد دام الاتصال الفكري بين المشرق والمغرب في ظل الخلافة ببغداد وقرطبة بفضل تعاضد كبار المسلمين وأغنيائهم

للعلوم والفنون ، وبذلك سرت العلوم والآداب من أقصى الشرق الى أقصى حدود النفوذ الإسلامى فى غرب أوروبا ، وظل العرب فى الأندلس رافعين لواء العلوم عاليا من القرن التاسع الى الثانى عشر ، وألفت كتب كثيرة فى قرطبة ، وأدخلت الدراسات الفلسفية والعلمية فى مدارس الأندلس ، واتسع انتشار العلوم الطبية فى المغرب .

ولقد اتصل المسلمون بالمسيحيين فى أسبانيا وصقلية من القرن الثامن الى الثانى عشر ، وفيهما أخذ الغرب اللاتينى علوم الطب عن العرب ، إذ ظلت صقلية منذ فتحها العرب مركزا للثقافة العربية الى أن فتحها النورمانديون سنة ١٠٦١ م ، أما المركز الثانى للثقافة العربية فكان الأندلس ومقرها قرطبة ، بينما أنشأ « ريموند اللاتينى » كلية للترجمين اللاتين فى طليطلة التى صارت أهم مركز على الإطلاق لنقل الثقافة العربية وعلومها الى الغرب اللاتينى بترجمتها الى اللاتينية وأصبحت الكتب المترجمة ذات تأثير غالب فى عقول مفكرى الغرب من القرن الثانى عشر الى الخامس عشر .

✕ ' ولقد رفع العرب كرامة مهنة الطب من مستوى وضع الى مركز رفيع ، وهم الذين نقحو التعاليم القديمة وأقتفوا آثارها على أساس منطق وأضافوا اليها تجاربهم ، وجعلوها ملائمة لأيامهم ،

وبلغ من رقى ثقافتهم أن الطبيب في عهد الإسلام كان لابد له -
علاوة على معرفة الطب - من الإلمام بأصول الدين والفلسفة
والفلك والموسيقى وعلم النجوم وكتب جالينوس وطريقته .
والعرب هم الذين أعطوا الغرب طريقتهم في الأعداد فخلت محل
الأرقام الرومانية العقيمة ، وهم الذين نهضوا بعلم الكيمياء ووسعوه
وطبقوه على الطب واكتشفوا فيه كثيرا ، كما اخترعوا فن الصيدلة
وحسنوا فن تركيب الأدوية بما أدخلوه من المستحضرات اللطيفة
والحلوة المذاق ، كما أن الغرب مدين للعرب بأنهم الذين أدخلوا
فكرة امتحان الأطباء المتخرجين لمزاولة مهنة الطب ، وأيضا نهضوا
بالمستشفيات وأنفقوا عليها بسخاء عظيم ، والعرب كانوا أول من
أدخل الرسومات والأشكال المنظمة في كتبهم الطبية .

أما كتاب العرب من الأئمة الأعلام من الأطباء والفلاسفة
في خلافة المشرق كـ ابن سينا و الرازي و علي بن العباس ، وفي خلافة
المغرب كـ ابن رشد و أبي القاسم و أبن زهر فكان لهم أبلغ التأثير
وأعظم النفوذ على أوروبا العالمية والطبية في العصور الوسطى ،
واستمرت كتبهم تدرس في جامعات أوروبا قرونا عديدة .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم المؤرخ الفرنسي «لكرك»
في كتابه تاريخ الطب العربي : أنه في ختام القرن الثامن الميلادي
كان كل ما في أيدي العرب من العلوم ترجمة مؤلف في الطب

وبضعة كتب في علم الكيمياء ولكن ما كاد القرن التاسع يوشك أن ينتهى حتى كان العرب قد آمتلكوا ناصية كل علوم اليونان وثقافة الأقدمين ، ونبغ فيهم عدد عظيم من المؤلفين .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم بعض المؤرخين : (نوبرجر : تاريخ الطب) إن المدنية العربية في أوج امبراطورية الإسلام قد فاقت مدنية روما القديمة في حيويتها وتنوعها ، بينما حضارة الاسلام في الأندلس احتلت مركزا يشابه من عدة وجوه حضارة اليونان القديمة .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم أحد مؤرخي هذا العصر من الأطباء : (داوسن : تاريخ الطب) : « أن المدنية الأوروبية بل في الحقيقة إن المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين بميراث حكمة الأقدمين . وإن فتوحات العرب في امبراطورية الإسلام من القرن السابع الى الخامس عشر لهى إحدى أعاجيب التاريخ ، ومن المدهش أن يصبح العرب — وكانوا في مبدأ أمرهم يعيشون على الفطرة — قد تحولوا الى عنصر فاتح فجعلوا أنفسهم سادة نصف العالم في مائة عام ، ومن أشد العجب حماسهم العظيم ، وسرعتهم البالغة في تحصيل العلوم وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم حتى وصلوا فيها الى مستوى عال في مائة سنة ، بينما نرى أن الجرمانيين لما فتحوا الامبراطورية الرومانية قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على الوحشية وينهضوا لإحياء العلوم » .

وهكذا نرى أنه بينما كانت أوروبا غارقة في الجُمود الدينيّ
والتنازع والفتن في «العصور الوسطى» عصور الجهل والخرافات ،
وتلاشي القانون، والوحشية، كان العرب قد نشروا للعلم لواء خافقا
فوق امبراطورية الإسلام الشاسعة الأرجاء ، المتراصة الأطراف
من الصين والهند وسمرقند شرقا الى أقصى المغرب غربا ، وفي جنوب
إيطاليا وفي الأندلس حيث كادوا يصلون الى فرنسا ، ودولتهم
يحيط بها سياج العظمة والسلطان ، ثم حملوا الشعلة العالمية من
قبس العلوم وأنوار الحكمة الى أوروبا حيث أناروا بها دياجير قرون
الظلمات ، وكانوا أهل الأمانة على العلم ، وحملوا ودائعهم الى الغرب
على متن القرون ، وكفى العرب فخرا على مدنية أوروبا ، وفضلا على
الغرب أن أخرجوا أهله من الظلمات الى النور .

مصادر الطب العربيّ

لما امتدت فتوحات العرب في صدر الإسلام وكان من البلاد
التي دانت لهم مملكة فارس وهناك في إحدى مدنها «جنديسابور»
وجد العرب أن جماعة السريان النسطوريين (نسبة الى نسطور يوس
الذي كان بطريك القسطنطينية) قد فروا الى فارس بسبب
الاضطهاد المسيحيّ في بيزنطية في القرن الخامس للميلاد ، ونهضوا
بمدرسة «جنديسابور» حيث نقلوا معهم علوم اليونان فاقتبسها العرب

هناك ، مع زيادات من الثقافة الهندية والفارسية والسريانية ، ولهذا كان للحركة النسطورية وانتقالها الى فارس شأن كبير في منشأ الطب العربى حيث كانت مدرسة «جنديسابور» من أعظم متابعه ، كما أن العرب اتصلوا أيضا — عند ما أنتشر الإسلام في الشام — بعلوم الإغريق في بيع النسطوريين هناك ، وفي عهد بنى أمية أمر خالد بن يزيد باستحضار الفلاسفة اليونان من مدرسة الإسكندرية في مصر وأمرهم بترجمة الكتب اليونانية الى العربية ، وكان الدافع له على هذا شغفه الشديد بعلم الكيمياء ، وكانت هذه أول ترجمة من لغة لأخرى في الإسلام .

وفي مدرسة «جنديسابور» تعلم «الحارث بن كلدة» أول طبيب عربى وكان في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك الوقت ازدادت عناية العرب بالعلوم الطبية ، وكان يوجد في عهد بنى أمية بضعة أطباء يمارسون مهنة الطب ومن بينهم «زينب طيبة بنى أود» التي كانت شهيرة بعلاج الرمد وأمراض العين .

ولما قامت الدولة العباسية ، بدأ عهد جديد أمتاز بإحياء العلوم والمعارف ، وبحركة الترجمة في بغداد حيث ترجمت كل كتب اليونان الى العربية ، إما عن النص اليونانى وإما عن الترجمة السريانية للأصول اليونانية ، مضافا الى ذلك علوم الطب الهندية والفارسية ، كل ذلك تحت رعاية خلفاء الإسلام ، كما سنبينه فيما يلى

العصر الذهبي

(٧٥٠ - ٨٥٠ م)

امتاز القرن الأول للدولة العباسية بأنه كان أزهى عصور الثقافة العربية التي تألق نجمها في بغداد التي أصبحت مركز المدينة الإسلامية ، والحضارة العربية ، فتوجهت الهمم لاستطلاع علوم الأقدمين ، وشجع الخلفاء البحث والترجمة والتأليف وعضدوها بنفوذهم وقوة سلطانهم والدولة إذ ذلك في أوج عظمتها وأوسع فتوحاتها ، فأرسلوا البعث للبحث والتنقيب عن علوم اليونان والهند والفرس ، وأستخدموا رهطا من كبار المترجمين لنقلها الى لغة الإسلام ورفعوا منزلة العلماء ، واقتدى بالخلفاء الأمراء والوزراء فتقدمت العلوم تقدما لم يسبق له نظير ، وبلغت الحضارة ذروة مجدها في ذلك العصر الذهبي السعيد ، ولقد نقح العرب ما ترجموه وصبغوه بصبغة عربية ، وبلغ الحماس الفكري متناه ، وناهيك بأن تعضيد الخلفاء كان له أبلغ الأثر في تدوين العلوم والمعارف . واشتد ما دهش أحد أباطرة بيزنطية حين رأى بين شروط الصلح التي أملاها عليه أحد الفاتحين المسلمين شرطا بأن يكون للعرب الحق في جمع وشراء ما شاءوا من نسخ المؤلفات اليونانية !!

ولقد كان « بيت الحكمة » في بغداد تحوى خزائنه أمهات : أمات الكتب في مختلف العلوم والفنون ، كما كان لإنشائه أثر كبير في تدهور

مدرسة «جنديسابور» بعد ذلك ، وكذلك آمتأت بغداد في عصر
هارون الرشيد والمأمون بالمستشفيات والمدارس والقصور .

مشاهير المترجمين

قام المترجمون الذين عهد اليهم نقل علوم اليونان بترجمة مؤلفات عظماء اليونان مثل أبقراط وجالينوس وبولس الأجاينيطي وروفوس وأوريباسيوس وأرستطاليس وغيرهم ، ولقد وسعت اللغة العربية كل ما ترجم ولم تضيق بحاجات العلوم فهي من أغنى اللغات وأكثرها مفردات وتراكيب ، وأغزرها مادة وإنتاجا ، ولقد كان العرب أمة شديدة الملاحظة ، ناصعة التفكير ، وقد أكثروا من الاصطلاحات العلمية ووضعوا — عند نقلهم من اليونانية — ألفاظا وعبارات اصطلاحية تؤدي معاني الألفاظ المنقولة مثل : « التشخيص » لكلمة (diagnosis) و « تقديم المعرفة » لكلمة (prognosis) . كما أنهم أكثروا من المفردات التشريرية والباتولوجية والطبية ، لأن اللغة العربية قوة عظيمة في تكوين المشتقات الهامة لتصبح ذات معنى خاص فمثلا وزن «فُعَال» يدل على أمراض كثيرة مثل صداع وزكام ودوار وسعال وزحار ... الخ ، وفي بعض الأحوال كان الاصطلاح الطبي العربي يدل على نظرية باتولوجية مثلا (استسقاء) ويستسقى من سقى يسقى لهيامه بالشرب وشدة رغبته فيه ، بينما في الطب تدل على (الارتشاح) وفي ذلك حجة

دامغة على صلاحية اللغة العربية ، باصطلاحاتها التي لا تقع تحت
حضر ، لأن تكون لغة للعلوم والفنون في عصرنا هذا .

ومن مشاهير المترجمين « يوحنا بن ماسويه » (٧٧٧ — ٨٥٧ م)
ولد بجنديسابور وكان والده صيدليا هناك ، وقد عين رئيسا لمدرسة
الطب ببغداد وكان من أطباء هارون الرشيد . ثم « حنين بن اسحاق »
النسطوري (٨٠٩ — ٨٧٣ م) وهو أشهر المترجمين وأكثرهم مادة
ترجمة . ولد بالعراق ودرس الطب على أستاذه يوحنا بن ماسويه ،
وقد سافر في بلاد اليونان ، وتعلم العربية بالبصرة ، وترجم كثيرا من
الكتب اليونانية ، كما أن كتابه الذي استعرض فيه طريقة جالينوس
في الطب صار فيما بعد كتابا مدرسيا ذائع الشهرة في عصور أوربا
الوسطى وترجم الى اللاتينية ، ويقال إنه ترجم كتب بولس الأجاينطي
أيضا الى العربية كما ترجم كتب عديدة أخرى ، مع من جمعهم حوله
من المترجمين ، ويحكى عنه أن الخليفة المأمون كان يعطيه من الذهب
زنة ما ينقله من الكتب الى العربية !

وكان من تلاميذه « عيسى بن علي » الذي زاول الرمد في بغداد
وترجم بعض الكتب اليونانية كما كتب مؤلفا أصليا عن أمراض
العين .

واشتهرت أيضا في ذلك الحين أسرة « بنختيشوع » في جنديسابور ،
إذ لما مرض الخليفة المنصور مرضا استعصى على أطبائه أستدعى

«جورجس» كبير أطباء مستشفى «جنديسابور» علاجه الى أن
شفي من مرضه .

ويعزى الى العرب كل الفضل في حفظ بعض مؤلفات
أبقراط وجالينوس الى يومنا هذا ، حيث فقدت الأصول اليونانية ،
بينما ترجمتها العربية لا تزال باقية .

ثم إنه بعد انتهاء مدة الترجمة أتت مدّة الأطباء العرب الذين
حوّروا العلوم الطبية المنقولة وأضافوا اليها تجاربهم وملاحظاتهم
وألفوا في الطب العربي كتباً مستقلة كان لها أعظم شأن وسند كـ
الآن أشهر هؤلاء الأطباء في عصر الخلافة بالمشرق :

٢ أشهر مشاهير الأطباء

جابر بن حيان

(٧٠٣ - ٧٦٥ م)

ذلك الكيميائي المسلم العربي أشهر من أن يعرف ، فهو أبو
الكيمياء الحديثة وهو الذي أدخل الى أوروبا كيمياء المشرق
(alchemy) التي هي أم الكيمياء الحديثة ، وله الفضل في اكتشاف
حامض النتريك والماء الملكي . ويحسن في هذا المقام أن نذكر
نبذة عن اكتشافات العرب في الكيمياء والصيدلة ، فإن العرب قد
عرفوا عدّة عمليات كيميائية كاللتقطير والتكليس والترشيح والتصعيد

وتلك كانت شائعة عندهم ، كما أنهم أدخلوا عددا عظيما من
المستحضرات العربية في مادتهم الطبية مثل الكحول (alcohol)
والشراب (syrup) والكافور والقرنفل والزئبق والمز والكاسيا والسنا
المكي والعنبر والمسك والجلاب ، وهم الذين اخترعوا « الصيدلة »
ووسعوا فن الصيدلة بادخال تلك المستحضرات الأقرباذنية وزينوا
فن تركيب الأدوية بإدخالهم المياه المعطرة كماء الورد والبرتقال .
ولو أن الغرض الأول عند بدء العرب دراسة الكيمياء كان
البحث عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة ، لكنهم أتوا باكتشافات
حقيقية قيمة في فروع الكيمياء والصيدلة والمادة الطبية التي
أضافوا إليها الشيء الكثير .

ثم إن العرب عرفوا إمكان « التخدير » بالاستنشاق وكان
لهذه المعرفة تأثير على جراحاتهم إذ ابتدعوا ما سمي « الأسفنج المنوم »
الذي كان يغمر في مواد عطرية ومنومة ثم يحفف ويحفظ ويبلل
قبيل استعماله للتخدير ثم يوضع فوق الأنف والفم ، وقد نقل ذلك
عنهم « تيودوريك البولوني » في القرن الثالث عشر بأوربا .

ما ٨٧٢ م الكندي

هو الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي من
أصل عربي صميم ، وقد كان من أشهر الفلاسفة والمترجمين
في الإسلام ، أضاف كثيرا إلى أصول الطب والعلوم العربية وحاول

تأسيس طريقة مضبوطة في فن تركيب الأدوية، وصار طبيباً للخليفين: المأمون والمعتصم في بغداد، حيث ذاعت شهرته كطبيب وفيلسوف وفلكي ورياضي، وتشمل تأليفه ترجمات كثيرة منها «المجسطي» لبطليموس نقلها عن اليونانية التي كان يتقنها وقد راجع الترجمة العربية لأرسطو، وألف علي ما قيل أكثر من مائتي كتاب منها اثنا وعشرون في الطب، وترجمت كتب كثيرة من مؤلفاته إلى اللاتينية وقد مات سنة ٨٧٣ م .

علي بن ربن الطبري

مولده ومنشؤه في طبرستان الإقليم الفارسي، كان أبوه مسيحياً، ثم اعتنق ابنه علي هذا الإسلام ودخل خدمة الخليفة المتوكل وجمع له سنة ٨٥٠ م كتابه في الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية وأسمه «فردوس الحكمة»، وقد علم الرازي فزاد ذلك كثيراً في أهمية كتابه، ويفهم من مطالعة كتابه هذا أنه كان يوجد امتحان للمتخرجين في الطب، على أن هذا النظام قد وجد بلاشك في حكم الخليفة المقتدر الذي أصدر أمره في سنة ٩٣١ م (كما يخبرنا القفطي في تاريخ الحكماء) بعدم السماح لأحد بتعاطي صناعة الطب في بغداد إلا بعد أن يمتحنه «سنان بن ثابت» ولم يستثن من الامتحان سوى بعض الأطباء المشهورين القديرين، أما الباقيون وكانوا نحو ٨٦٠ طبيباً فقد تم امتحانهم جميعاً .

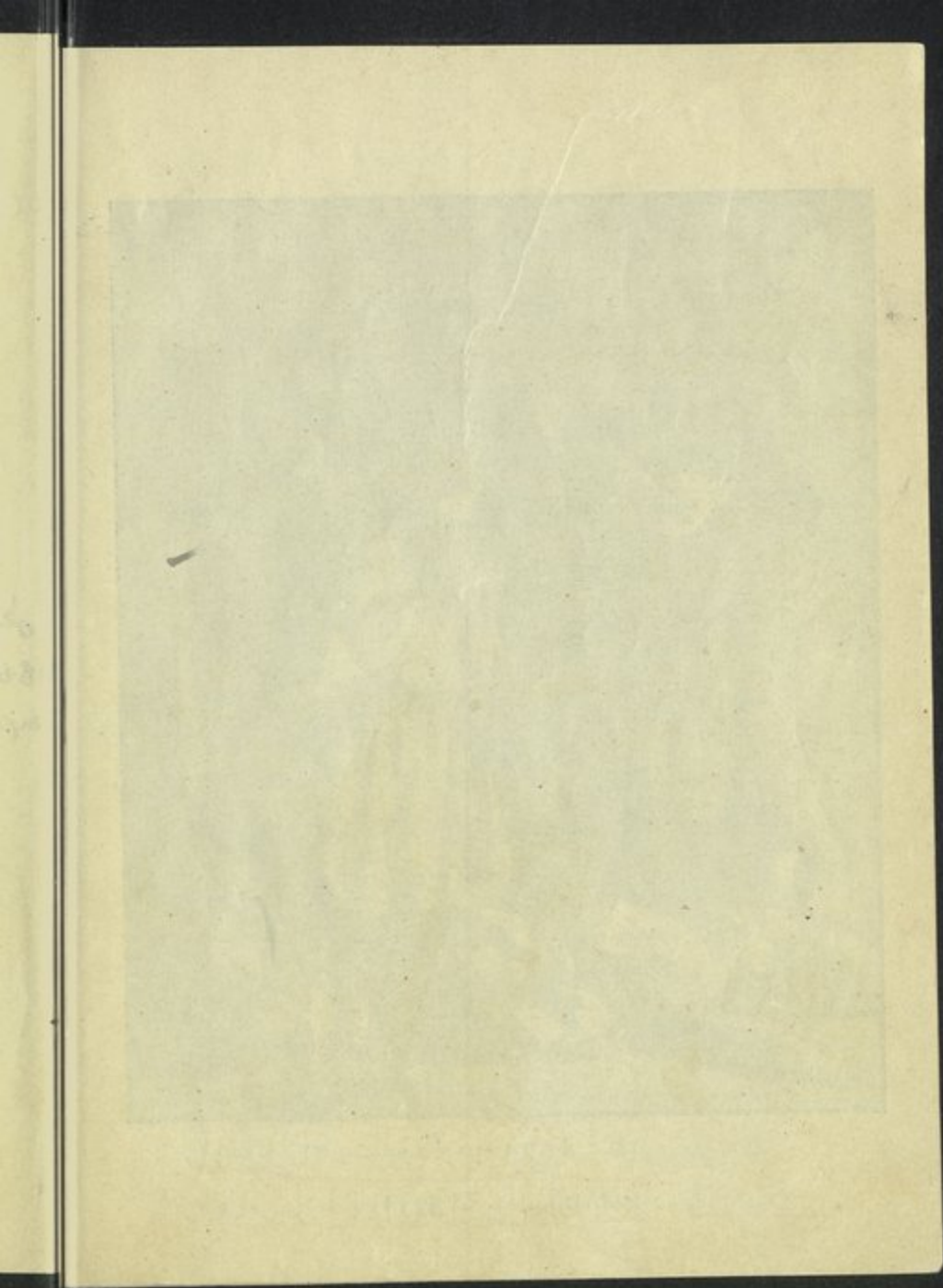
الرازي

هو أعظم طبيب في الإسلام، وإمام المؤلفين في الطب من
 الأعلام، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، تمثل فيه عظمة الطب
العربي في أزهي عصوره، ولد بالري من أقدم مدن فارس (على
 بعد بضعة أميال من طهران عاصمة إيران الحالية) حوالي وسط
 القرن التاسع للميلاد، وولع في أول حياته بالموسيقى وكان يجيد
 العزف على العود، ثم درس الفلسفة، وتعلم صناعة الطب وقد كبر،
 وهو يعد في درجة أبقراط من حيث إنه أحد الوصاف الأصليين
 للأمراض، كان حاد الذكاء، شديد الملاحظة، دقيق المشاهدات
 والتجارب، مخنكا في صناعته، فبلغ في الطب الأكلينيكي أعظم
 الدرجات، وكان أكثر المؤلفين إنتاجا للمادة الأصلية في علوم
 الطب، (وأنتخب رئيسا لمستشفى بغداد حيث كان يعطى بانتظام
 دروسه الأكلينيكية) محاطا بتلاميذه وتلاميذ تلاميذه فكان هؤلاء
 الآخرون يفحصون الحالة أولا فإذا صعب عليهم تشخيصها
 مرت على تلاميذه ثم يلجأ إليه شخصيا في النهاية إذا لم الأمر،
 (وذلك على نحو ما هو متبع اليوم). ويمتاز الرازي بضخامة مؤلفاته
 وكثرتها ويفوق في هذا الضمار جالينوس، وقد ألف نحو ٢٣٧ كتابا
 أكثرها مفقود، وقد ذكر له في كتاب «الفهرست» ١١٣ مؤلفا من
 تأليفه الكبيرة، وذكر ابن أبي أصيبعة ٢٣٣ مؤلفا له، ومن مؤلفاته



الرازی

[ویری أحد مرضاه راقدا أمامه]



الباقية كتاب «المنصوري» في عشرة مجلدات أهدها الى «المنصور
ابن إسماعيل» صاحب خراسان ، وقد ترجم هذا الكتاب الى
اللاتينية «جيراردى كريمونا» وكان للمجلد التاسع منه تأثير عظيم
في أوروبا اللاتينية، فكان يدرس في أوروبا في القرون الوسطى
ويحتوى على وصف دقيق لجميع أعضاء الجسم من قمة الرأس
لأخمص القدم وكانوا يسمونه في أوروبا Nonus Almansoris
واستمر يدرس بانتظام في جامعة توبنجن الى أواخر القرن الخامس عشر
حيث ذاعت شهرته في أوروبا بضع مئات من السنين. أما كتابه
(١٧) «الحاوى» فهو أجل كتبه وأضخمها وأعظمها في الطب العربى ،
ولا يوجد من هذا الكتاب اليوم سوى نصفه ، وهو أضخم دوائر
المعارف في الطب والجراحة وسائر العلوم الطبية ويتفوق في حجمه
«قانون» ابن سينا ، ويرى منه أن الرازى كان خير من اقتنى آثار
أبقراط وجالينوس وكان معارضا كل المعارضة للدجالين والمشعوذين ،
وقد نشر «الحاوى» مع الترجمة اللاتينية سنة ١٤٨٦ م ، وكان هذا
الكتاب أحد الكتب التسعة التى تكوّنت منها مكتبة مدرسة
الطب بباريس بأكلها في القرن الرابع عشر وكان مصدرا للعلوم
الطبية وخاصة في العلاج في أوروبا الى ما بعد عصر النهضة
(الرينسانس) بزمان طويل. ومن أشهر ما كتبه الرازى كتاب
«الحدري والحصبة» فهو أول من وصف هذين المرضين وصفا
دقيقا واضحا ميزا بالعلامات الاكلينيكية الأصلية ومنطبقا على

(١٨) المعلومات الحديثة، وقد اتفق المؤرخون على اعتبار هذا الكتاب
درة ساطعة في جيد الطب العربى، وقد نشر الأصل العربى له مع
الترجمة اللاتينية في لندن سنة ١٧٦٦ م. وترجم أيضا مع كُتبه
الأخرى الى اليونانية والفرنسية وغيرهما من لغات أوروبا. وكان
لها في أوروبا تأثير عظيم. ومن مؤلفاته رسالة عن «حصوات
المثانة والكلى» وأخرى عن «الروماتزم والنقرس» وأخرى عن
«القولنج أو المغص» وكان الرازى أول من أدخل المستحضرات

الكيميائية في صناعة الطب. ^{دكانه الرازى أول من أدخل المستحضرات}
الكيميائية في صناعة الطب.

وقد دون كثير من بدائع حالاته ودقائق آستدلالة في علاج

المرضى بذكاء نادر وتدير عجيب في بعض الكتب مثل كتاب «الفرج
بعد الشدة» للقاضى التنوخى وقد طبع في مصر، وكتاب فارسى
اسمه «چهار مقاله» أى أربع مقالات ~~التي حوالى سنة ١١٥٠~~
وكتاب فارسى آخر اسمه «أخلاق جلالى» وفي كتاب «سلسلة
الذهب» و«المبدأ والمعاد» وسكتفى ~~حاليا~~ ^{حاليا} كحاليين :

(٢١) حدث بعض الأطباء الثقاة أن غلاما من بغداد كان عريلا
فقدم الرى وهو ينفت الدم، وكان قد لحقه ذلك في طريقه
فأستدعى أبا بكر الرازى فأراه ما ينفت ووصف له الحال ففحصه
الرازى وبجث حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يجد سببا معروفا
يعلل المرض فاستنظر المريض ليفكر في الأمر فيئس المريض من

الشفاء، لا اعتقاده أنه مادام لم ينجح الرازي في معرفة علته فلن ينجح
سواه، وولد الفكر للرازي أنه عاد الى المريض وسأله عن المياه
التي شربها في طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وماء آسن
فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وصفاء الذهن أن علة كانت
بالماء الذي شربه في معدته، وأن ذلك النفث الدموي من فعلها،
ثم قال للعليل: إذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم أنصرف حتى تبرأ،
ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيما أمرهم به فيك
فقال: نعم، وعاد الرازي في اليوم التالي ومعه ملء مِرْكَنين من طحلب
وأمر المريض أن يبلع جميع ما في المِرْكَنين فبلع الرجل منه شيئا
كثيرا ثم قال: ليس يمكنني بلع شيء آخر أكثر منه فقال له: أبلع،
فقال: لا أستطيع فأمر الغلمان أن يطرحوا المريض على الأرض
ويفتحوا فاه، وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه
كبسا شديدا، ويطلبه ببلعه شاء أو أبى، والرجل يستغيث الى
أن ذرعه القىء فقذف فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علة واذا هي
لما وصل الطحلب اليها دبّت اليه بالطبع وتركت موضعها في معدة
المريض، فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافا!

والحالة الثانية نادرة من نواذر العلاج النفساني

(٥) (psychotherapeusis) وخلاصتها أن «الرازي» استدعى لعلاج
أميركان يشكو روماتيزما مفصليا شديدا أعيا أطباءه، وعند وصول

الرازي الى بخارى حيث كان الأمير جرب معه طرقا مختلفة للعلاج بدون جدوى، وفي النهاية قال للأمير: إنه في غد سيجرب علاجا جديدا، ولكن على شرط أن يضع الأمير تحت تصرفه أحسن حصانين في اسطبلاته فوافق الأمير، وفي اليوم التالي أحضر الرازي الأمير معه الى حمام بظاهر المدينة وربط الحصانين مسرجين خارج الحمام ودخل وحده غرفة الحمام الساخنة مع مريضه الأمير، ثم صب عليه من الماء وجرعه مقدارا من دواء أحضره، الى أن نضجت الأخلاط في مفاصله. ثم تركه وخرج ولبس ملابسه وعاد يحمل سكيناً في يده ودخل على الأمير وشهرها في وجهه ووقف يؤنه ويهدده ويتهمة بأنه تأمر ضده وأثبتت في تعنيفه فاستشاط الأمير غيظاً، وبتأثير عاملي الغضب والخوف اللذين ألقاهما في روعه الرازي وثب على أقدامه ونهض واقفا بعد أن كان لا يستطيع الوقوف، وفي الحال هرب الرازي من الحمام الى حيث كان ينتظره خادمه بالخارج مع الحصانين وركب بأقصى سرعة وعاد الى بلده وهناك كتب للأمير كتابا قال فيه: أنه لما عالج به بما أوحاه اليه ضميره قدر استطاعته ولم يتيسر شفاؤه، وخشى أن تستطيل مدة علاجه لجأ الى العلاج النفساني على الطريقة التي ابتدعها له وأنت بالشفاء وإنه أصبح من عدم اللياقة أن يعود لمقابلة الأمير بعد ذلك.

فلما هدأت عن الأمير ثورة الغضب واشتد سروره بشفاائه
ورجع صحته أمر بالبحث عن الرازي في كل مكان ولكن عبثا
الى أن رجع خادمه في اليوم السابع مع الحصانين وحاملا خطاب
الرازي فلما رأى عزم الرازي على عدم الرجوع كافأه بحلة نفيسة
وسيوف وعبد وجارية وجواد مطهم وأجرى عليه ألفي دينار
سنويا وأرسل له مائتي حل من الحنطة . . !

وقد عمر الرازي طويلا اذ نيف على الثمانين ، وفقد بصره
في آخريات أيامه ومات سنة سنة ٩٢٦ م .

علي بن العباس الجوسي

(٤) هو الطبيب الفارسي علي بن العباس الجوسي من الأهواز
في الجنوب الغربي من فارس ، درس على أستاذه أبي ماهر موسى
ابن سيار ، وكان ذا شهرة واسعة وألف الكتاب «الملكي» لعضد
الدولة وهو مجموعة شاملة للطب النظري والعملي في عشرين جزءا ،
وكان هذا الكتاب من أحسن التأليف في العصر العربي وشاع
استعماله لدراسة الطب شيوعا عظيما الى أن حل محله القانون لابن
سينا بعد نحو قرن من الزمان ، وقد ترجم الى اللاتينية كما طبع
بالعربية بمصر ، ومن ملاحظات مؤلفه القيمة في المقالة التاسعة
عشرة الخاصة بالجراحة تنبيهه بأهمية المواظبة على حضور
المستشفيات ، مذكرا طلاب صناعة الطب بوجوب ذلك مع

زيارة منازل المرضى ، وبذل العناية الفائقة في دراسة الحالات بصحبة أساتذتهم من مشاهير الأطباء وبدقة الاستفهام على الدوام عن حالة المرضى وسير المرض مع تذكر اختلاف الأعراض مما قرءوه وشاهدوه حتى يتسنى لهم بذلك الوصول الى درجة عالية في هذا الفن ، وحتى ينالوا ثقة المرضى وعطف الناس واحترامهم وحتى تتسع شهرتهم وتزداد فائدتهم ومنفعتهم .

وقد ذكر أيضا شيئا عن أجور أشهر الأطباء في صدر الدولة العباسية مثل «جبريل بن بختيشوع» الذي مات سنة ٨٣٠ م. وقد ذكر القفطى أن جبريل هذا جمع ثروة في مدة خدمته لهارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وفي خدمة البرامكة ثلاث عشرة سنة أكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات !!

ومات علي بن العباس سنة ٩٩٤ هـ .

ماسويه المارندى

درس الطب والفلسفة ببغداد ومات سنة ١٠١٥ م . ومن مؤلفاته كتابه في «الأقرباذين» الذي كان الكتاب الصيدلى المعتمد في العصور الوسطى وأهميته في أنه يبحث على الأخص في المادة الطبية وأنه عرف أوروبا اللاتينية الصيدلة العربية ، وقد ظهرت له طبعات عديدة جدا بأوربا .



ابن سینا

100

أبن سيناء رحمه الله

(١٠) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء أمير الأطباء، وأشهر الفلاسفة من العرب، عمت شهرته أرجاء العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وعظم تأثير مؤلفاته في أوروبا حتى كانت أهم ما يدرس ويقرأ من العلوم في جامعات أوروبا قروناً عدة، ولم يدانيه في شهرته أحد من الأطباء أو الفلاسفة، وكان عبقرى عظيمًا بلغت به العلوم العربية قمة مجدها، ولد قرب بخارى من بلاد الفرس حوالي سنة ٤٨٨ هـ . ثم إنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وتفرد بعد ذلك ست سنين لدراسة الشريعة والفلسفة والعلوم الطبيعية والمنطق ثم اتجهت عنايته إلى دراسة علم الطب في سن السادسة عشرة، ولما جاوز عمره الثامنة عشرة بقليل ذاع صيته واشتهر أمره في الطب الذي نبغ فيه وهو في ريعان الشباب حتى إنه استدعى لعلاج نوح بن منصور سلطان بخارى إذ ذاك وقد تم شفاؤه على يديه فأحسن صلاته وسمح له بالاطلاع على نفائس المكتبة المملوكية بما حوته من الكتب النادرة، ثم أقبلت عليه الدنيا، وتجزرت عليه النعم بما أوتيته من التوفيق في صناعة الطب، والنجاح في معالجة من تعهدهم من المرضى الذين كانوا يأتون إليه من فجاج الأرض .

وفي سنّ الحادية والعشرين ألف أول كتاب له ، ثم دخل
خدمة الأمير عليّ بن مأمون حاكم « كركاخ » وما لبث أن تنقل
في البلاد وبعد تطواف كثير ألقي عصا الترحال في جرجان حيث
كان يقصد أميرها « قابوس » الذي أشتهر بتعزيده للعلوم غير أن
هذا الأمير ما لبث أن مات فتألم ابن سينا لذلك ألما شديدا وأنشأ
في هذه المناسبة قصيدة قال فيها :

لما عظمت فليس مصر واسعى * لما غلا ثني عِدمت المشتري

غير أنه مع ذلك لم يعد مثل هذا المشتري فقد وجدده أخيرا
في شخص الأمير شمس الدولة بهمدان ، إذ أنه عاجله فشقه من مغمص
انتابه فقلده الوزارة غير أن فتنة ضده بين الجنود أدت الى سجنه
ثم نفيه ، ولكن القولنج (المغمص) عاود الأمير فاستدعاه ثانية وأعتذر
اليه وأبقاه في خدمته وأعيدت الوزارة اليه ثانيا ، وكانت حياته
في ذلك الوقت مملأى بالنشاط والحماس والعمل والجهود المتواصلة ،
كان يشغل طول النهار في خدمة الأمير بينما يجتمع كل ليلة
في داره طلبة العلم فيقضى أكثر الليل في المحاضرة والتدريس وإملاء
المذكرات اللازمة لكتبه فإذا آتته القراءة حضر المغنون
على اختلاف طبقاتهم وهي مجلس الغناء والأنس والموسيقى ؛ وكان
إذا صادفته مشكلة علمية يراجع مذكراته ويذهب الى المسجد يصلي
ويبتهل إلى الله ، وبعد تقلبات كثيرة في حياته الحافلة بالعمل

المتواصل والإجهاد الشديد مات وعمره نحو سبع وخمسين سنة
(١٠٣٧ م) .

وأهم كتبه « القانون » في الطب وقد دَوَّن فيه علوم الطب
الى زمنه ونقحها جميعها وقد فاق ابن سينا كلا من أرسطو وجالينوس
في دقته في المناقشة، وشرح آراء جالينوس وأبقراط، كما حاول أن
يوفق بين تعاليم جالينوس وأرسطو، ويحتوى « القانون » على نحو
مليون كلمة وهو مقسم الى كتب وأبواب كثيرة، وقد كان القانون
يُدرس في أوروبا باعتباره أهم جزء في منهاج الدراسة الطبية واستمر
كتابا مدرسيا تعليميا الى سنة ١٦٥٠ م في جامعتي مونبلييه ولوفان .

وكان لشهرة مؤلفه التى طبقت الآفاق في نواح أخرى غير
الطب أثرهم في رفع كتاب « القانون » الى مركز منفرد متميز على
ماسواه من كتب الطب في العالم الإسلامى ، حتى أن أحد كتاب
ذلك العهد ذكر أن كل من يريد الاعتماد على كتاب واحد فقط
دون سواه في علوم الطب فليقتصر على قانون ابن سينا .

وكذلك بلغ من شهرة « القانون » في أنحاء الغرب أنه وصل
الى الغال بالجزر البريطانية وانتشرت تعاليمه هناك، وقد ترجم إلى
اللاتينية في طليطله ونشرت له نحو ثلاثين طبعة مبينة على الترجمة
اللاتينية في غرب أوروبا . وقد ظهرت له طبعة عربية جميلة
في روما سنة ١٥٩٣ م وفي بولاق بمصر، كما ظهرت له عدة شروح .

ولأبن سينا كتب أخرى عديدة جدا في علوم الطب والفلسفة
والدين والهندسة والفلك واللغة وغيرها . ع

١٤ وما يروى عن أبن سينا من نوادر الطب النفساني أنه أتى
متنكرا الى جرجان وهناك وجد أحد أقرباء حاكم ذلك الاقليم
مريضا بداء أعيا الأطباء علاجه فأستدعى أبن سينا لأستشارته
في علاجه ، ولما فحص المريض طلب استحضار شخص يعرف
كافة بلاد هذا الاقليم ومراكره ، لكي يعدد أسماءها بينما أبن سينا
أبقى أصابعه موضوعة فوق يد المريض تجس نبضه ، فلاحظ
اضطرابا في النبض عند ذكر بلدة معينة فعند ذلك طلب أبن سينا
شخصا يعرف كل الأحياء والشوارع والمنازل في تلك البلدة وآسתר
يجس نبض المريض فلاحظ عودة اضطراب النبض عند ماذكر
الشخص اسم شارع معين ، وذلك على مسمع من المريض ،
وتكررت ظاهرة الاضطراب في نبض العليل عند ذكر منزل معين
ثم عند ذكر اسم فتاة معينة من سكان هذا المنزل ، عند ذلك قال
أبن سينا : قضى الأمر هذا الغلام عاشق للفتاة الفلانية التي تعيش
في منزل كذا ، بشارع كذا ، ببلدة كذا ، ووجه الفتاة شفاء المريض !!
وهكذا كان تشخيصه لمرض العشق وكان علاجه أن أشار
بضرورة زواج الفتى من الفتاة التي أحبها وأضنى جسمه حبه لها ،
وقد تم ذلك فعلا فكان فيه كل الشفاء ... !

مشاهير الأطباء في الأندلس

كان للمؤلفين من أطباء العرب في خلافة المغرب تأثير بعيد المدى على الغرب اللاتيني لاتصالهم الوثيق بأممهم هناك ، وأعظمهم أبو القاسم الزهراوى ، وآبن زهر ، وآبن رشد ، وموسى بن ميمون .

أبو القاسم الزهراوى

(ونبذة في الجراحة عند العرب)

(٧) " هو فخر الجراحة العربية ، وصاحب الفضل الأكبر في إحياء فنها في العصور الوسطى ، ولد بالزهراء (بالقرب من قرطبة) سنة ٩٣٢ هـ . وقد صار طبيباً لعبد الرحمن الثالث ، وأهم مؤلفاته كتاب « التصريف » وهو دائرة معارف للطب والجراحة ، وقد نشر الجزء الجراحى من هذا الكتاب على حدة وهو أول كتاب موضح بالصور والأشكال في الجراحة ، وترجم الكتاب الى اللاتينية على يدى « جيراردى كرىمونا » ، وهذا الجزء الخاص بالجراحة من « التصريف » مقسم الى ثلاثة أقسام : أولها وأطولها يبحث فى « الكلى » الذى شاع استعماله فى الطب العربى ، والقسم الثانى يبحث فى الجراحة العامة وعملياتها ووصف أسلحتها ، والقسم الثالث فى الخلع والكسور . ورسوم الآلات فى هذا الكتاب تبلغ نحو المائتين ؛ وكان الزهراوى يذكّر بجوار كل موضوع ما دلت عليه

تجاربته ثم إنه أوصى بضرورة معرفة التشريح معرفة تامة دقيقة لمن
يخصص نفسه للجراحة ، وهو أول من ربط الشرايين قبل أمبرواز
باريه الفرنسي ، وقد وصف عمليات تفتيت الحصاة والشق عليها
والبتر وجراحة العين والأذن ، ووصف الطريقة العربية لعلاج
الجروح ، ودون ملاحظاته عن التقيح ، ووصف الوضع المعروف
الآن باسم والخرف في الولادة وذكر التوليد بالآلات في الوضع ، وذكر
حدوث الشلل عقب كسر السلسلة الفقرية ، وكانت له اليد الطولى
في رفع مستوى الجراحة في أوربا ، وقدر في الجزء الخاص بالخلع
والكسور أن هذا الفرع من الجراحة قد صار في أيدي العوام
والجهلة بالطب ، وأشار بوجوب قصر مزاولته على الأطباء ، وهو
أول من آستعمل « السنارة » في آستخراج « البوليبوس » ، ثم إن
تشيع أبي القاسم للمكي أدى الى آنتشار آستعماله في العلاج في كافة
أنحاء أوربا في القرون الوسطى .

ولنذكر الآن نبذة في الجراحة عند العرب ، فنقول أولا : أن
الآراء اتفقت على أن المسلمين لم يمارسوا « التشريح » بسبب
تعاليم الدين ، ولهذا آعتمدوا في معرفتهم لهذا الفرع على « تشريح
جالينوس » ، ولذلك لم يكن للجراحة في بادئ الأمر حظ كبير من
عنايتهم وقلما آهتموا بعملياتها ، ولم يتبدئ آشتغالهم بفن الجراحة
وآهتمامهم به كفرع خاص متميز إلا في عصر متأخر ، وكان الرازي

أول من أهتم بالجراحة، وجاء على أثره علي بن العباس المجوسى ،
وقد أتى بعد ابن سينا ، وفى أوائل القرن الحادى عشر للميلاد
أشتهر فى الأندلس ابن زهر الذى جمع بين الطب والجراحة غير أن
الجراحة لم تبلغ الدرجة الممتازة إلا عند ظهور أبى القاسم خلف بن
عباس الزهراوى (المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية) فأجرى العمليات
الجراحية وأستعان بالآلات والأدوات وألف كتابه « التصريف
لمن عجز عن التأليف » الذى سبق ذكره ، وقد كانت الآلات
الجراحية تصنع إما من الحديد أو الذهب أو النحاس ، ويختلف
استعمال كل نوع باختلاف ظروفه ففى آلات الكلى مثلا كان
أبو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب لأسباب علمية
صحيحة ، وكان الكلى يستعمل فى كثير من الأمراض وله أدوات
كثيرة منها الناز التى تعتبر أفضل لكونها جوهرا مفردا لا يتعدى
فعله العضو المكوى فلا يضر ما حوله على عكس الدواء المحرق الذى قد
يتعدى فعله الى ما حول العضو المصاب ، وقد كان القوم يستعملون
فى الكلى كل صنوف الصبر والجلد مما لا يتصور احتمالها فإن خراج
الكبد مثلا كان يعالج باستعمال مكواة تحرق طبقات جدار البطن
كلها حتى تصل الى الكبد فتحرقه الى أن يخرج الصديد ... ومثل
هذه العملية بالطبع تكون خالية من أى تقبيح . وكما أسلفنا فإن
أبا القاسم أول من ربط الشريان لإيقاف النزيف ، وأول من أدخل
استعمال الحرير وأوتار العود بهيئة خيوط للربط فى الجراحة ، وكذلك

فإنه أدخل استعمال محلول الملح في غسيل الجروح على نحو ما هو
معروف اليوم . ٢٢٠

وقد تأصلت جذور الجراحة العربية ممثلة في أبي القاسم
في أوروبا في العصور الوسطى ، وهو بلا ريب واضع أساس
الجراحة الحديثة .

ابن زهر

ولد بإشبيلية سنة ١١١٣ م . وذاعت شهرته كطبيب عظيم
في أسبانيا وشمال إفريقيا وهو من مشاهير المفكرين في الإسلام ،
وقد شغف بدراسة المادة الطبية والعقاقير ، وأهم كتبه « التيسير »
وهو يبحث في الطب العملي ويصف الأغذية وتحضير الأدوية ،
وهو يبين في كتابه أهمية التجارب في إرشاد الطبيب ، وقد وصف
الالتهاب المصلي للثامور ونحراج المنصف الصدري وأصابه هذا
المرض الأخير فوصف أعراض نفسه ودونها بمنتهى الدقة ،
وكذلك وصف عمليات الحصى الكلى وعملية فتح قصبه الرئة ،
كما يظهر من كتاباته أنه في أيامه كانت مهنة الطب والجراحة
والصيدلة منفصلة بعضها عن بعض ، وترجمت كتبه إلى اللاتينية
وكانت المرجع الأساسي لكثير من كتاب الغرب ، ومما يعرف
عن ابن زهر أنه لم يقبل كل تعاليم جالينوس بل عارض
بعضها .

آبن رشد

• هو فيلسوف الاسلام أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشيد ولد بقرطبة سنة ١١٢٦ م. ودرس الفلسفة والقانون والطب وكان صديقا لابن زهر، وهو أصدق من أقتنى آثار أرسطو من العرب، وقد أثار تفكيره الحز شكوكا ضده، ولقب بشارح أرسطو، وعين قاضيا لإشبيلية وظل في هذا المنصب نحسا وعشرين سنة في قرطبة ومراكش ومات بمراكش سنة ١١٩٨ م. وكان لما بسطه من الأفكار ونشره من الآراء أثر فعال تغلغل في عقول الأوروبيين الى القرن السابع عشر وأهم مؤلفاته كتاب « الكليات » وترجم الى اللاتينية .

موسى بن ميمون

هو موسى بن ميمون القرطبي من أحيار اليهود ولد سنة ١١٣٥ م. وصادفت أيامه الأولى احتلال الموحدين قرطبة وترعرع مركز اليهود في أسبانيا ففر ابن ميمون الى فاس ثم الى فلسطين وهاجر الى مصر واتخذ لنفسه مهنة الطب هناك فصادف نجاحا عظيما وارتبط بالسلطان صلاح الدين وصار طبيبه الخاص، وروى أن ريشارد الأول ملك إنجلترا علم أثناء وجوده بفلسطين بشهرة ابن ميمون فعرض عليه أن يجعله طبيبه الخاص ولكنه رفض . وكان معاصرا لابن رشد وله فضل كبير في تثبيت مدرسة ابن رشيد

وتعاليمه في غرب أوروبا كما أنه ترجم قانون ابن سينا الى اللغة العبرية وله كتاب « الوصايا » عن التغذية وقانون الصحة كتبه على هيئة خطابات الى الملك الأفضل بالعربية وترجم للعبرية واللاتينية، وألف كتابا عن « السموم » سنة ١١٩٨ م . وأهداه الى القاضي الفاضل وكان يدرس الكتاب بكثرة في أوروبا في العصر الوسيط وكان مرجعا هاما لأطباء الغرب، وله كتب أخرى كثيرة .

ابن البيطار

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار أوحّد زمانه وعلامة وقته في علم النبات، ولد بالقرب من مالقة بالأندلس، ورحل في أسفار كثيرة في اليونان وآسيا الصغرى ومصر لدراسة النباتات الطبية والعقاقير وأتقن دراية كتاب أدوية « ديسقوريدس » اليوناني إتقاناً لم يحارده فيه أحد كما أن شرحها، أما كتابه في المادة الطبية فهو بلا شك أوفى كتاب في المادة الطبية العربية ويحوى وصفاً لنحو ألف وأربعمائة من العقاقير كان منها ثلثمائة جديدة في زمنه فكتابه هذا (الجامع في الأدوية المفردة) مجموعة كاملة عن المادة الطبية والتغذية وترجم الى اللاتينية والألمانية، ومات ابن البيطار في دمشق سنة ١٢٤٨ م .

ويحسن بنا هنا أن نتوّه ببعض من نوابع الطب العربي في الدولة العربية (غير من ذكرنا) فمن هؤلاء « علي بن رضوان »

الذى اشتهر بابتكاراته فى علم الصحة وطرق العلاج ، و"عمار بن على الموصلى" الذى ألف كتابا عظيم الشأن فى طب العيون و « ابن بطلان » من أقطاب الطب فى بغداد ووفد الى مصر وله كتاب «دعوة الأطباء» و « السمرقندى » صاحب كتاب «الأسباب والعلامات» وكتاب «أغذية المرضى» و « ابن خاتمة » الطبيب الأندلسى الذى كتب فى الوباء كتابا عرف فيه الجراثيم وأثبت العدوى . ونذكر أخيرا « ابن أبى أصيبعة » الذى اشتهر بكتابيه فى تواريخ حياة الأطباء وأسمه «عبون الأنبياء فى طبقات الأطباء» .

المستشفيات الإسلامية

إن من حسنات العرب أنهم نهضوا بالمستشفيات نهوضا عظيما يمشى مع حضارتهم ويتفق وتقدم الطب العربى فى عصوره المختلفة ، وكانت تطلق كلمة «المارستان» للدلالة على «المستشفى» وهى تحريف «بليارستان» الفارسية ومعناها «بيت المرضى»
ففى أيام الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ أسس مارستان اشتمل به أطباء اجريت لهم المرتبات وذكر المؤرخ الطبرى ، أن الوليد أمر بجمع المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الأرزاق وهذا يدل على العناية بشؤون الصحة العامة ، وفى عصر هارون الرشيد ومن تبعه من خلفاء العباسيين كثر إنشاء المستشفيات واستمر ازدياد عددها حتى عمت أهم مدن الاسلام وكانت تتفق عليها أموال

طائفة . وأقول مستشفى شيد بمصر أسسه أحمد بن طولون ،
كما شيدت مارستانات عديدة بها ما بين سنة ٥٢٥٩ هـ وسنة ٥٨٢٠ هـ ،
وكذلك آمتلأت مدائن الأندلس بالمستشفيات إبان الحضارة
العربية هناك

وكانت المستشفيات مفتوحة لكافة المرضى من جميع الطبقات
ذكورا وأنثاء ، وكانت بها قاعات للمحاضرات ، وغرف للأطباء
وصيديات وقاعات خاصة بكل قسم من أقسام الطب ، وكذلك
كان بها غرف خاصة بالمجاذيب ، ويحذر بنا التنويه بحسن معاملة
المجاذيب في الاسلام كما بينا كانت معاملتهم في أوروبا في العصور
الوسطى بالغة حدّ القسوة والشدة .

انتقال العلوم الطبية العربية إلى أوروبا

وتأثيرها في المدينة الحديثة

من المعروف أن الخليفة هارون الرشيد أرسل سفيرا الى بلاط
شارلمان كما روى بعض المؤرخين أن الإمبراطور شارلمان استشار
أطباء من العرب ، ولما فتح العرب صقلية سرى نفوذهم الفكري
حتى وصل سويسرا شمالا ، كما أن احتكاك العرب اللاتين بالحضارة
الأندلسية مهد السبيل لانتشار الثقافة العربية وسيطرتها على الطرق
التعليمية في أوروبا ، ومما لا ريب فيه أيضا أن الصليبيين تأثروا
بآراء العرب الطبية والفلسفية ولما رجعوا الى أوطانهم نقلوا كثيرا

من علوم المشرق؛ فسرت المعارف العربية في كثير من بقاع أوربا حيث صادفت هناك تربة صالحة فزكا نباتها، ووطأت ثمارها .

وفي العصور المظلمة جعلت الكنيسة مهنة الطب في أيدي القسيس فكثرت الدجالون والمشعوذون والحلاقون المتطببون وأقتصرت علوم الطب على معرفة عدّة أمراض للأمرض وبجملة تراكيب للأدوية، وكانت الكتب نادرة وغالية ولم يكن هناك نظام أو قانون لمزاولة المهنة فتعاطاها الكثيرون ممن ليسوا من أهلها ، كانت أوربا في هذه العصور منحطة الى الدرك الأسفل بينما كان الراسخون في العلم من العرب قد صعدوا بالطب الى الذروة وظهر فيهم نوابغ عديدون، كان لهم أعمق الأثر في عقول أوربا ومدنيتها إذ ابتداء ذلك التأثير يظهر جليا في وسط القرن العاشر حيث الفت كتب أوربية منقولة عن المصادر العربية . وفي أوائل القرن الحادى عشر درس «جريت» العلوم العربية في أسبانيا وصار فيما بعد البابا «سلفستر الثانى» وهو الذى أدخل استعمال الطريقة العربية للأعداد محل الطريقة الرومانية في أوربا، وفي ذلك الوقت نهضت مدرسة «سالمون» التى كان التأثير العربى مسيطرا عليها وكانت فى القرنين: الحادى عشر والثانى عشر بمثابة القنطرة بين الطب القديم والحديث وتعتبر أم الجامعات الأوربية وقد تواترت الأخبار أن بعض الأساتذة من العرب قاموا بالتدريس فى «سالمون» مدة حكم العرب هناك

أما الأندلس فكانت المنبع الأساسي الذي تدفق منه تيار الطب العربي إلى أوروبا، وكان التعليم الطبي في جامعات العرب بها يمتاز بالمحاورات العلمية والمناظرات الفنية التي كانت شائعة بين الطلبة والأساتذة، وتسربت هذه العادة إلى جامعات أوروبا، وهي أساس الطريقة الحديثة في وضع الرسائل للحصول على درجات الشرف من الجامعات فأوروبا مدينة بها للعرب .

وكان بين المسلمين ورعاياهم من اليهود الذين أكرمهم العرب وأحسنوا معاملتهم في الأندلس ارتباط متين، وهؤلاء اليهود أثر كبير في نقل علوم العرب إلى أوروبا، وفي ذلك العهد كان المستعربون وطلاب العلوم من أوروبا المسيحية يهبطون الأندلس أفواجا طلبا لعلوم العرب فشرّبوا منها بالكأس الروية .

وأول المترجمين اللاتين « قسطنطين الأفريقي » (توفي سنة ١٠٨٧م) الذي كان أول من نقل كثيرا من ثقافة العرب إلى أوروبا اللاتينية ثم توجهت العناية في أواخر العصور الوسطى لدراسة المادة الطبية والصيدلية العربية واستعمال موازينها ومقاييسها فتقلها « نيقولاس » في كتابه في « مضادات السموم » عن مصادرها العربية وبقى كتابه دستورا لهذا الفرع من الطب قرونا كثيرة، وصار قاعدة « للفارما كوبيات » الأوروبية أما فن الجراحة اليدوي فن أوائل المؤلفين فيه من الأوروبيين « روجر » ولم يكن كتابه سوى خلاصة كتاب الزهر اوى كما نقل غيره من المؤلفين عن ابن سينا والزهر اوى

والرازي وغيرهم إذ كانوا ينقلون فصولا بأكملها، ولهذا فإن «روجر» الذي تعتبر كتبه المصدر الأساسي للجراحة الأوروبية لم يفعل سوى أن نقل جراحة العرب إلى أوروبا، ومن أعظم من نقل عن الزهرأوى فيما بعد «جى دى شوليك» .

وصفوة القول أن كافة مؤلفات الغربيين في تلك العصور كانت مبنية على العلوم الطبية العربية، ويكفى للدلالة على ما كان للثقافة العربية من التأثير في ذلك العهد أن المؤلفين الأوروبيين لم يكونوا ليضمنوا آنتشار مؤلفاتهم ويحوزوا ثقة قارئهم ما لم ينقلوا عن المصادر العربية مادة كتبهم منزهين بذلك !!

وفي سنة ١١٣٠ م . كؤن الأسقف «ريموند» جماعة المترجمين في طليطلة وكان كثير منهم من اليهود الأسبان، وكانت الترجمة من العربية إلى اللاتينية حرفة وكان المترجمون إذا لم يحسدوا مقابلا لاتينيا للألفاظ العربية نقلوها كما هي بدون تصرف، وهكذا تسربت إلى أوروبا كلمات عربية كثيرة مثل الكحول والكيمياء ، كما أن بعض المؤلفين مثل «جى دى شوليك» أدخل بعض الألفاظ العربية مثل صفاق ومرىء وكان من نتيجة حركة الترجمة سيطرة العلوم العربية في أوروبا فكانت جامعاتها تحتم معرفة قانون ابن سينا ضمن منهاجها الطبي إلى آخر القرن السادس عشر، وأستمر تدريس كتب ابن رشد في جامعات باريس وبولونيا إلى وقت مارتن لوتر سنة ١٥٤٦ م . وكتب الجراحة العربية المترجمة إلى اللاتينية

الى زمن « أمبرواز باريه » الذى مات سنة ١٥٩٠ م ، وكان القوم فى أوربا متمسكين بتعاليم الأفقيمين ، ولذلك أنكبوا بحماس عظيم على دراسة الترجمات اللاتينية لمؤلفات العرب ، وفى سنة ١١٧٠ م . ذهب « جيراردى كرىمونا » الى طليطلة ودرس العربية وترجم الى اللاتينية نحو سبعين كتابا عربيا منها : كتب الرازى وآبن سينا والزهرأوى . وتبعه « جيراردى سايبونيتا » وقد ترجم قانون آبن سينا بأمر فردريك الثانى حاكم صقلية ، وتمت ترجمة أغلب العلوم العربية فى القرن الثالث عشر الذى كان عصر إحياء لعلوم العرب فى أوربا بعد ترجمتها الى اللاتينية حيث أحدثت تطورا فكريا أنار لأوربا سبيل البحث والتجربة فيما بعد ، وكانت قرطبة موضع إعجاب جميع المتعلمين من أهل أوربا .

وفى ذلك الوقت اضمحلت مدرسة « سالرنو » وقامت فى القرن الثالث عشر جامعات « بالرمو » و « مونبلييه » وتلا ذلك نهوض جامعات « باريس » و « بولونيا » و « أكسفورد » و « بادوا » وغيرها ، كما كان من نتائج النفوذ العربى ظهور عدد كبير من الجامعات فى أسبانيا بعد سقوط قرطبة سنة ١٢٣٦ م . فكان بأسبانيا ست عشرة جامعة قبل نهاية القرن الخامس عشر ، وكانت جامعة إشبيلية مخصصة لدراسة العربية ، وامتاز القرن الثالث عشر بسقوط قرطبة وبسقوط خلافة العباسيين فى بغداد سنة ١٢٥٨ م . وباصدار فردريك الثانى مرسوما بقانون بشأن تعليم الطب

والترخيص بمزاولة مهنته في جنوب إيطاليا وصقلية، أما مؤلفات الطب في أوروبا في القرنين : الثالث عشر والرابع عشر فكانت عبارة عن جمع وشرح للترجمات اللاتينية لكتب العرب ، وقد أثارت معارضة ابن زهر المنفكر الكبير والطبيب العظيم لتعاليم «جالينوس» عناية العلماء الأوربيين الذين حاولوا بعد ذلك إعادة بناء علم التشريح من أساسه ، واستمرت مؤلفات العرب تلقى اهتماما بدراستها في أوروبا أعظم من الاهتمام بكتب أبقراط وجالينوس الى القرن السابع عشر .

وفي القرن الخامس عشر اتجهت الأنظار في أوروبا لدراسة العلوم الطبيعية دراسة مبنية على التجربة والمشاهدة ، ومارس المجربون التشريح عمليا فظهر بينهم «فيزاليوس» الذي لم يقبل نظريات التشريح الجالينية المنقولة من الكتب العربية وظهر كتابه في التشريح سنة ١٥٤٣ م .

ومما يدل على سيطرة العلوم العربية التي سادت أوروبا في تلك العصور أن «شكسبير» أشار في أشعاره الى أدوية العرب وطبهم في (رواية عطيل) .

وفي القرن السادس عشر وما بعده حين قامت النهضة في أوروبا «الرينسانس» بدأت العلوم اليونانية تدرس مباشرة من الأصول اللاتينية وقام في أوروبا علماء كثيرون وضعوا أساسا متينا من الأبحاث الأصلية والتجارب بنيت عليه صروح الطب الحديث .

المراجع

- ١ — صيون الأنبا، في طبقات الأطباء لأبي أصيبعة — مصر ١٨٨٢
- ٢ — الفرج بعد الشدة للتونسي جزء ٢ — مصر ١٩٠٤
- ٣ — فضل العرب على الجراحة للدكتور حسين الجراوى — ١٩١٧
- ٤ — آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب للدكتور أحمد عيسى — ١٩٢٥
- ٥ — الطب في أيام العرب وقوانين الصحة عند المسلمين للدكتور محمود صدق — ١٩١٠
- ٦ — المجلة الطبية المصرية — ديسمبر ١٩٢٨
- ٧ — غابر الأندلس وحاضرها للاستاذ محمد كرد على — ١٩٢٣
- ٨ — CAMPBELL, Arabian Medicine. 1926
- ٩ — PUSCHMANN, History of Medical Education. — 1891
- ١٠ — NEUBERGER, History of Medicine. 1910
- ١١ — FREIND, The history of Physic. 1750
- ١٢ — WITHINGTON, Medical history. 1894.
- ١٣ — EDWARD BROWNE, Arabian Medicine. 1921.
- ١٤ — RANKING, The Life and Works of Rhazes. 1913. —
- ١٥ — ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA. 1926
- ١٦ — BERTHELOT, La chimie au moyen-âge. 1896 . —
- ١٧ — LECLERC, Histoire de la Médecine Arabe. 1876. —
- ١٨ — COMPTES RENDUS, Congrès Inter. de Méd. Trop., —
Le Caire, 1928. Tome II.
- ١٩ — GARRISON, Introduction to History of Medicine. — 1929.
- ٢٠ — BERNARD DAWSON, History of Medicine. 1931. —



وكان تمام طبع هذه الرسالة بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم السبت

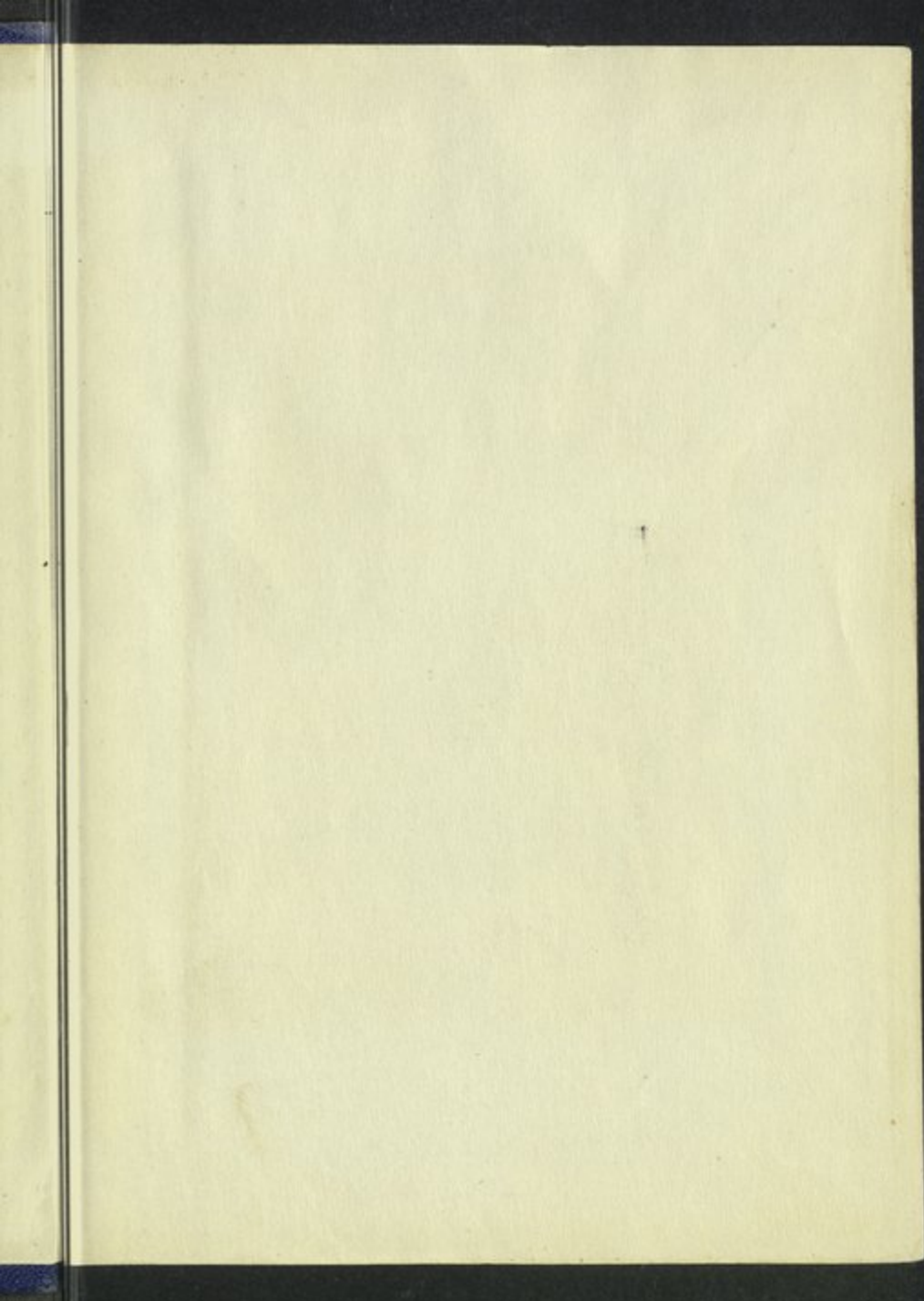
١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ (٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣١) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية.

x

10



610.953:A39rA:c.1

على زكي

رسالة الطب العربي وتأثيره في المدنية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01027973



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

610.953
A39 r A
C.1